النَّظم في آيتيْ سورة النَّحل [٦٨ – ٦٩]

إعداد

د. إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض

ملخص البحث

قام علىٰ تتبع آيتين كريمتين في سورة النحل، [٦٨– ٦٩] تتبعًا بيانيا وعلميا، مع الاستئناس بالمكتشفات العلمية الحديثة.

وقد أثار هذا البحث العديد من التساؤلات؛ سواء منها اللغوي الدلالي أم العلمي، منها ما أجبت عنه باستنادي إلىٰ أقوال أهل العلم والاختصاص في المسألة، أو باجتهادي وتأملي، ومنها أسئلة دون إجابات تاركًا للباحث الكريم الإجابة عليها إذا يسر الله له الاطلاع علىٰ ما لم أقف عليه، وحسب البحث هنا أن يكون أثار السؤال، والعلم رَحِمٌ بين أهله.

وقد جاء البحث في أربعة محاور:

أولًا: الآيتان محلّ الدراسة.

ثانيًا: مناسبة آيتي النحل للسابق، واللاحق.

ثالثًا: شرح الآيتين شرحًا موجزًا.

رابعًا: الوقفات البلاغية.

وفيها تحدثت عن (١٣) ثلاث عشرة وقفة إجمالا؛ بما فيها من تفصيل دعت إليه الحاجة في موضعه.

ذاكرا من خلال ذلك الفوائد اللغوية، والبلاغية، والعلمية، والدراسات التجريبية، حسب مناسبتها للنظم القرآني، وفق مباحث البحث.

مستعينًا بعنوانات جانبية تعين علىٰ فهم المراد، وتساعد في توضيح الصورة، وتطرد الملل الناجم من الاستطرادات، وتتابع المعلومات.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد

الكلمات المفتاحية:

النَّظم في آيتيْ سورة النَّحل [٦٨ – ٦٩]

❋ ❋ ❋

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ ، والصلاة والسلام علىٰ خير خلق الله أجمعين القائل " صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ "[1]، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد

فإن من آيات الله تعالىٰ العظيمة ما أودعه في مخلوق من أضعف مخلوقاته حجمًا وقوة، وهو (النحل) الذي أودعه من دلائل حكمته، وبديع صنعه ما بهر الألباب، وأثار التساؤلات، وحرّك الهمم لاكتشاف عوالمه العجيبة الدقيقة، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وقد حرصت في هذا البحث المعنون بـ(النَّظم في آيتيْ النَّحل) علىٰ تتبع آيتين كريمتين في سورة النحل، هما: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ تتبعتهما تتبعًا بيانيا وعلميا، مع الاستئناس بالمكتشفات العلمية الحديثة.

وقد أثار هذا البحث العديد من التساؤلات؛ سواء منها اللغوي الدلالي أم العلمي، وما كان الجواب فيه متاحا لي أجبت عنه باستنادي إلىٰ أقوال أهل العلم والاختصاص في المسألة، أو باجتهادي وتأملي، وربما أثرت تساؤلات في البحث دون إجابات تاركًا للباحث الكريم الإجابة عليها إذا يسر الله له الاطلاع علىٰ ما لم أقف عليه، وحسب البحث هنا أن يكون أثار السؤال، ليكون الجواب من غيره، والعلم رَحِمٌ بين أهله.

وقد سار البحث وفق النظم القرآني للآيتين الكريمتين، مقسمًا إلىٰ أربعة محاور رئيسة:

أولًا: الآيتان محلّ الدراسة.

ثانيًا: مناسبة آيتي النحل للسابق، واللاحق.

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، حديث ٥٦٨٤، ٧/ ١٢٣، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، ٢٢١٧، ٤/ ١٧٣٦

ثالثًا: شرح الآيتين شرحًا موجزًا.

رابعًا: الوقفات البلاغية.

وفيها تحدثت عن (١٣) ثلاث عشرة وقفة إجمالا؛ بما فيها من تفصيل دعت إليه الحاجة في موضعه.

ذاكرا من خلال ذلك الفوائد اللغوية، والبلاغية، والعلمية، والدراسات التجريبية، حسب مناسبتها للنظم القرآني، وفق مباحث البحث.

مستعينًا بعنوانات جانبية تعين علىٰ فهم المراد، وتساعد في توضيح الصورة، وتطرد الملل الناجم من الاستطرادات، وتتابع المعلومات.

وقد قدمتُ لهذا البحث بمقدمة، متلوة بمطالب البحث، وختمته بخاتمة، مقفاة بثبت المصادر والمراجع.

أسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لي في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الناس لرب العالمين. وأن يجعل ثوابه لي ولوالديَّ ووالديهم وللمسلمين، شاكرا كل من أعان علىٰ إتمام هذا العمل، وخروجه بهذا الوجه.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



أولًا: الآيتان محلّ الدراسة:

قولـه تعـالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

ثانيًا: مناسبة آيتي النحل للسابق، واللاحق

أمّا مناسبتها لسابقهما فقد ربط الرازي ذلك ببيان مناسبة آيتي النحل بسابقهما برباط ينم عن احتواء السابق علىٰ معجزات ربانية، تتمثل في بديع صنع الله؛ حيث قال: " اعلم أنه تعالىٰ لما بين أنَّ إخراجَ الألبان من النَّعم، وإخراجَ السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب دلائلُ قاهرةٌ، وبيناتٌ باهرةٌ علىٰ أنَّ لهذا العالم إلها قادرا مختارا حكيما، فكذلك إخراج العسل من النحل دليل قاطع وبرهان ساطع علىٰ إثبات هذا المقصود"[(١)].

وأمّا تناسب هاتين الآيتين للاحقها فيتمثل في قضية مهمة؛ هي إعمال العقل والفكر لدىٰ الخلق عمومًا، ولدىٰ المنكر لوحدانية الله خصوصًا، وقد بيّن البقاعي ذلك خير بيان؛ حيث قال: "ولما أيقظهم من رقدتهم، ونبههم علىٰ عظيم غفلتهم من عموم القدرة وشمول العلم، المقتضي للفعل بالاختيار، المحقق للبعث وغيره، من كل ما يريده سبحانه ببعض آياته المبثوثة في الآفاق من جماد ثم حيوان، وختم ذلك بما هو شفاء، ثنىٰ ببعض ما في أنفسهم من الأدلة علىٰ ذلك مذكرًا بمراتب عمر الإنسان الأربع، وهي سن الطفولية والنمو، ثم سن الشباب الذي يكون عند انتهائه الوقوف، ثم سن الكهولة وفيه يكون الانحطاط مع بقاء القوة، ثم سن الانحطاط مع ظهور الضعف وهو الشيخوخة، مضمنًا ما لا يغني عنه دواء، حثًا علىٰ التفكر في آياته والتعقل لها قبل حلول ذلك الحادث، فيفوت الفوت، ويندموا حيث لا ينفع الندم"[(٢)].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٣٦)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ٢٠٥)

ثالثًا: شرح الآيتين شرحًا موجزًا:

جاء عن الطبري رحمه الله:

وألهم ربك يا محمد النحل إيحاء إليها ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يعني: مما يبنون من السقوف، المرتفعة بالبناء.

ثم كلي أيتها النحل من الثمرات، فاسلكي طرق ربك مُذللة لك وأنت مطيعة؛ إذ يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون، وهي تتبعهم.

ويخرج من بطون النحل شراب، وهو العسل، مختلف ألوانه، لأن فيها أبيض وأحمر وأسحر، وغير ذلك من الألوان، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

إن في إخراج الله من بطون هذه النحل: الشراب المختلف، الذي هو شفاء للناس، لدلالة وحجة واضحة على من سخَّر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل، واتخاذها البيوت التي تنحت من الجبال والشجر والعروش، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس، أنه الواحد الذي ليس كمثله شيء، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ولا تصحّ الألوهة إلا له [(١)].

رابعًا: الوقفات البلاغية:

١) دلالات حروف المعاني:

ورد في الآيتين الكريمتين عدد من حروف المعاني؛ ولكل حرف منها دلالاته وإيحاءاته، ومناسبته للسياق الوارد فيه، مما يدلّ على بليغ النظم القرآني، ومن ذلك الحرف ﴿مِنَ﴾؛ وهنا أتساءل:

ما دلالة (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾؟

للحرف (مِنْ) دلالة مهمة في خدمة المعنى الذي وردت فيه، أشار إلى ذلك بعض المفسرين، فها هو الزمخشري يقول: " فإن قلت: ما معنى (من) في قوله ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ

(١) ينظر: جامع البيان ١٧/ ٢٤٧

﴿بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ وهلا قيل: في الجبال وفي الشجر؟ قلت: أريد معنىٰ البعضية، وأن لا تبنىٰ بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها " [١]، ويضيف الرازي قائلا: "بل في مساكن توافق مصالحها وتليق بها"[٢].

وما دلالة (مِنْ) في قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ؟

أشار العلماء – رحمهم الله – إلىٰ أن (مِنْ) هنا تفيد ابتداء الغاية، في أحد القولين فيها، ويؤيد هذا القول الرازي منتصرا له بمشاهداته في كتب الطب حيث يقول: " ورأيت في كتب الطب أنه تعالىٰ دبر هذا العالم علىٰ وجه، وهو أنه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع ذلك الطل علىٰ أوراق الأشجار، فقد تكون تلك الأجزاء الطلية لطيفة صغيرة متفرقة علىٰ الأوراق والأزهار، وقد تكون كثيرة بحيث يجتمع منها أجزاء محسوسة.

أما القسم الثاني: فهو مثل الترنجبين فإنه طل ينزل من الهواء ويجتمع علىٰ أطراف الطرفاء في بعض البلدان وذلك محسوس.

وأما القسم الأول: فهو الذي ألهم الله تعالىٰ هذا النحل حتىٰ أنها تلتقط تلك الذرات من الأزهار وأوراق الأشجار بأفواهها وتأكلها وتغتذي بها، فإذا شبعت التقطت بأفواهها مرة أخرىٰ شيئا من تلك الأجزاء وذهبت بها إلىٰ بيوتها ووضعتها هناك، لأنها تحاول أن تدخر لنفسها غذاءها، فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطلية شيء كثير فذاك هو العسل...

إذا عرفت هذا فنقول: قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ كلمة (من) هاهنا تكون لابتداء الغاية، ولا تكون للتبعيض علىٰ هذا القول" [٣].ولا يخفىٰ ما فيه علىٰ هذا المعنىٰ من إشارة بيّنة إلىٰ كثرة الرزق من الله تعالىٰ للنحل[٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦١٨)
(٢) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٣٧)
(٣) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٣٧)
(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ١٩٩)

علىٰ أن من العلماء من يرىٰ أن (من) للتبعيض، أي كلي جزءا أو شيئا من كل الثمرات،[١]، علىٰ القول أن لفظ (كلّ) ها هنا ليست علىٰ العموم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٢]، وإن كان معنىٰ الابتداء هنا أظهر والله أعلم.

ويحسن بنا أن نقف علىٰ بديعة من بدائع النَّظم القرآنيّ في الفرق بين معنيي (مِنْ) في ورودها في موضعين متقاربين؛ إذ أفادت (التبعيض) في معنىٰ لا يحسن غيره مكانه، في حين أتىٰ معنىٰ (الابتداء) في سياقه المعاضد لإعجاز هذا الكتاب العزيز؛ وللجمع بين هاتين اللطيفتين يشير صاحب الحاشية علىٰ الكشاف مشيدا بما تنبه إليه الزمخشري؛ إذ يقول: " ويتزين هذا المعنىٰ الذي نبه عليه الزمخشري في تبعيض (من) المتعلقة باتخاذ البيوت بإطلاق الأكل، كأنه تعالىٰ وكل الأكل إلىٰ شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه، وإن حجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض؛ لأن مصلحة الأكل علىٰ الإطلاق باستمراء مشتهاها منه. وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع، ولهذا المعنىٰ دخلت (ثم) لتفاوت الأمر بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والإطلاق لها في تناول الثمرات، كما تقول: راع الحلال فيما تأكله، ثم كل أي شيء شئت، فتوسط (ثم) لتفاوت الحجر والإطلاق، فسبحان اللطيف الخبير" [٣].

ومن الحروف التي أقف عندها في هذا المطلب ﴿ ثُمَّ ﴾؛ مبيِّنًا:

لطيفة في التعبير بها:

إذْ يرىٰ بعض الباحثين أن التعبير بـ﴿ ثُمَّ ﴾ جاء للترتيب الرتبي، حيث إن الأكل من الثمرات، وإنتاج العسل أعلىٰ وأرقىٰ من مجرد اتخاذ البيوت؛ لأن كثيرا من الحشرات تتخذ بيوتا، ولكن هذا الترتيب بـ(ثم) يدل علىٰ علو منزلة إنتاج العسل؛ لعلو فائدته[٤].

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٦٩)

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (الحاشية) (٢/ ٦١٨)

(٤) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني (ص: ١٣٩)

٢) اختلاف صيغ الأفعال:

تنوع التعبير بالأفعال في هاتين الآيتين الكريمتين؛ فمن التعبير بصيغة الماضي في {أَوْحَىٰ} إلىٰ التعبير بالمضارع في الفعلين: {يَخْرُجُ}، و{يَتَفَكَّرُونَ}؛ حيث إنَّ لكلّ صيغةٍ دلالتها وإيحاءها.

فقد ورد التعبير بصيغة الماضي {أَوْحَىٰ}، لما يدلّ عليه لفظ الماضي، من التنبيه علىٰ تحقق وقوع الفعل (١).

و " أصل (الإيحاء) إلقاء الموحِي إلىٰ الموحَىٰ إليه. وذلك قد يكون بكتاب وإشارة وإيماء، وبإلهام، وبرسالة، كما قال جل ثناؤه: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ) [سورة النحل: ٦٨]، بمعنىٰ: ألقىٰ ذلك إليها فألهمها"(٢).

وفي معنىٰ الإيحاء هنا أربعة " أوجه:

أحدها: أن الوحي إليها هو إلهام ، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: يعني أنه سخرها، حكاه ابن قتيبة.

الثالث: أنه جعل ذلك في غرائزها بما يخفىٰ مثله علىٰ غيرها ، قاله الحسن"(٣).

الرابع " أي ألقىٰ علىٰ مسامعها " (٤).

ومن المفسرين من اقتصر علىٰ الرأيين الأول والثالث (٥).

أما ما حكاه ابن عطية من اتفاق المتأولين علىٰ أنه وحي الإلهام (٦)، فهو رأي الأكثرية (٧).

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ٩٦
(٢) جامع البيان(٦/ ٤٠٥)
(٣) النكت والعيون (٣/ ١٩٩)
(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٢٨)
(٥) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٦١٠)، وتفسير البغوي (٣/ ٨٦)، وتفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٦٠)
(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)
(٧) ينظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ٥٣)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٧١)، وتفسير التستري (ص: ٨٩)، والتفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٢٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٩)، وتأويلات أهل السنة (٣/ ٦٤٨)، وبحر العلوم (٢/ ٢٨١)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٤١٠).

ومن القائلين: إن الوحي إلىٰ النحل وحي إلهام الزمخشري؛ إذ نصَّ علىٰ ذلك بقوله: " الإيحاء إلىٰ النحل: إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها علىٰ وجه هو أعلم به، لا سبيل لأحد إلىٰ الوقوف عليه، وإلا فنيقتها في صنعتها، ولطفها في تدبير أمرها، وإصابتها فيما يصلحها، دلائل بينة شاهدة علىٰ أنّ الله أودعها علمًا بذلك وفطنها، كما أولىٰ أولي العقول عقولهم" [1]، وهذا القول هو الراجح [2].

ولا يخالف ذلك أن الإلهام للنحل وغيرها من الدواب والمخلوقات، كما قَالَ السُّدِّيُّ: وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ إِلْهَامٌ [3]، " فالله أوحىٰ إلىٰ كل دابَّة وذِي رُوح في التماس منافعها واجتناب مضارها، فذكر من ذلك أمر النحل" [4].

وقد أشار الراغب إلىٰ أن هذا الوحي "علىٰ سبيل الابتلاء لهم من آياته الباهرة"[5].

والمتأمل يرىٰ أن الله سبحانه لم يذكر أن النحل سألته ما امتنن به سبحانه عليها، أو سأله لها أحد أنبيائه، أو ملائكته عليهم الصلاة والسلام، لكنه الله الكريم أوحىٰ ابتداء، ولعل ذلك رحمة ببني آدم الذي أكرمه الله تعالىٰ، إذ النحل وما ينتجه من خيرات؛ منها العسل، كل ذلك لبني آدم، فله تعالىٰ الحمد والمنة.

من آثار ذلك الإيحاء:

مما ترتب علىٰ ذلك الإلهام من نعم الله تعالىٰ أن " جعله في طباعها حتىٰ صارت سبله لها مذلّلة سهلة، فتراها تبكّر إلىٰ الأعمال وتقسمها بينها كما يأمرها اليعسوب فبعض يعمل الشّمع، وبعض العسل، وبعض يبني البيوت، وبعض يستقي الماء ويصبّه في الثّقب" [6]" ويلطخه بالعسل، ولا يتخذ ذلك إلا في أعلىٰ موضع،

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦١٨)

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (٣/ ١٨٥)

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٧٦)

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٠)، وينظر: تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني (٥/ ٤٩٣)

(٦) إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٤٨٧)

وأحصن موقع، بحيث ينبو عن العيون ويأبىٰ علىٰ الأقدام" [(١)].

كما " قرر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر، وبيانه من وجوه:

الأول: أنها تبني البيوت المسدسة من أضلاع متساوية، لا يزيد بعضها علىٰ بعض بمجرد طباعها، والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت إلا بآلات وأدوات مثل المسطر والفرجار.

والثاني: أنه ثبت في الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشكلة بأشكال سوىٰ المسدسات فإنه يبقىٰ بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة، أما إذا كانت تلك البيوت مسدسة فإنه لا يبقىٰ فيما بينها فرج ضائعة، فإهداء ذلك الحيوان الضعيف إلىٰ هذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الأعاجيب.

والثالث: أن النحل يحصل فيما بينها واحد يكون كالرئيس للبقية، وذلك الواحد يكون أعظم جثة من الباقي، ويكون نافذ الحكم علىٰ تلك البقية، وهم يخدمونه ويحملونه عند الطيران، وذلك أيضا من الأعاجيب.

والرابع: أنها إذا نفرت من وكرها ذهبت مع الجمعية إلىٰ موضع آخر، فإذا أرادوا عودها إلىٰ وكرها ضربوا الطنبور والملاهي وآلات الموسيقىٰ، وبواسطة تلك الألحان يقدرون علىٰ ردها إلىٰ وكرها، وهذا أيضا حالة عجيبة، فلما امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة علىٰ مزيد الذكاء والكياسة، وكان حصول هذه الأنواع من الكياسة ليس إلا علىٰ سبيل الإلهام " [(٢)].

ومن آثار ذلك الإيحاء ما ألهم الله تعالىٰ النحل من تمييز الأوقات المناسبة لسروحها، حتىٰ تكون رحلاتها أكثر فاعلية، وأكبر إنتاجية، فقد سخَّر الله سبحانه أن " يتعلم النحل ربط أمكنة وأزمنة مختلفة بقرارات خاصة وبسرعة.

وبما أن الأزهار تنتج الرحيق في أماكن مختلفة، وبكميات مختلفة، في أوقات

---

(١) باهر البرهان في معانىٰ مشكلات القرآن (٢/ ٨٠٦)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٣٦)

مختلفة من اليوم، فإن النحل يضع في حسابه هذا العامل حين يخطط لرحلات السروح الأكثر إنتاجا.

ويتبع نحل العسل برنامج عمل يومي وينفذ المهمة الصحيحة في المكان والزمان المناسبين"[١].

كما ورد التعبير بصيغة المضارع الدالة علىٰ " قصد استمرار الفعل فيما مضىٰ وقتًا فوقتا في الفعل" [٢]، في فعلين اثنين؛ هما: {يَخْرُجُ}، و{يَتَفَكَّرُونَ}.

التعبير بالمضارع {يخرج}

المتأمل في التعبير بالفعل المضارع {يَخْرُجُ} الدال علىٰ الحدوث والتجدد يرىٰ أن هذه الصيغة جاءت في غاية المناسبة في سياقها، حتىٰ إنها تدخل القارئ في صورة من النشاط والحركة الدؤوب، مما هو من طبيعة النحل التي خلقها الله عليها، حتىٰ إن الناظر فيها ليشعر في نفسه أنه أمام مصنع نشِط دائم الإنتاجية، متواصل العطاء، بجمعٍ من العمال لا يفترون، ولا يكلّون.

التعبير بالمضارع {يَتَفَكَّرُونَ}

ومن أهمية التفكر الوارد في ختام آيتي النحل وروده بصيغة الفعل المضارع الدال علىٰ التجدد والحدوث [٣]، إذ إن هذا التفكر يحدث من القوم رجالهم ونسائهم متجددا بين حين وحين، لا يتركونه متىٰ ما دعت إليه حاجة، أو ذكّرت به مشاهدة، أو تكررت عليهم نعمة بشرب العسل أو الاستشفاء به.

٣) الإضافة

من الظواهر التي يحسن الوقوف عندها في نظم هاتين الآيتين الكريمتين ظاهرة (الإضافة)، الواردة في عدد من المواضع؛ وهي: {ربُّك}، و {كلّ الثمرات}، و{سبلَ ربِّك}، و {بطونها}، و {ألوانه}، وسأقتصر بالدرس علىٰ نموذجين منها:

(١) نحل العسل المعجزة ١٠١
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ١٢٦
(٣) ينظر مثلا: مفتاح العلوم (ص: ٢٠٨)

فقد جاءت الإضافة في لفظ {ربُّك} في كاف الخطاب العائدة علىٰ النبيّ ﷺ؛ تأنيسًا " للنبي ﷺ؛ حيث خاطب الله سبحانه وتعالىٰ النبي ﷺ في سياق بيان النعم"(١).

كما يمكن أن يقال في التركيب القرآني البليغ إن الله سبحانه وتعالىٰ قد أضاف (السُّبل) "إلىٰ (الرب) من حيث هي ملكه وخلقه التي يسر لك ربك" (٢).

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن الإضافة تفيد أيضًا فائدة جليلة، من حيث التشريف والامتنان بالنعمة، فالذي ذلل سبله للنحل بفضله ومنّه قادر علىٰ أن يذلل للإنسان المكرّم عنده تعالىٰ سبله، وما به قوامه وصلاحه في معاشه ومعاده، وقادر علىٰ تيسير أمر مسكنه ومطعمه وشأنه كله.

٤) الاصطفاء:

ومما أودّ الوقوف عنده في هاتين الآيتين الكريمتين اصطفاء اللفظ القرآني؛ حيث تجلّىٰ في النظم القرآني ما تحمله ألفاظ هاتين الآيتين من اصطفاء؛ كسائر ألفاظ القرآن الكريم، وسأشير إلىٰ بعض الألفاظ المصطفاة هنا علىٰ النحو الآتي:

١ – تسمية النَّحْلُ:

أورد الزجاج رحمه الله تعالىٰ لطيفة حول تسمية النّحل بهذا الاسم؛ ممكن أن يكون من قبيل الاصطفاء القرآني، فقال: "والنَّحْلُ جائز أن تكون سميت نحلاً، لأن الله جلّ ثناؤُه نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها" (٣).

من حكمة الله في اصطفاء النحل للعسل:

وهذا يقودنا إلىٰ الحديث عن تلمّس الحكمة الربّانية في اصطفاء النحل لاستخراج العسل.

ولنا أن نتساءل عن السرِّ في اصطفاء (النحل) دون غيرها لهذه المهمة الشريفة في إخراج العسل النافع لبني آدم.

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني (ص: ١٣٧)
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٢)

ويمكن أن نتلمس الحكمة في ذلك فيما قاله القشيري حينما أرجع ذلك إلىٰ حكمة أحكم الحاكمين الله تعالىٰ؛ فقال:: " ثم إن الله- سبحانه- عرّف الخلق أنّ التفضيل ليس من جهة القياس والاستحقاق إذ أن النحل ليس له خصوصية في القامة أو الصورة أو الزينة، ومع ذلك جعل منه العسل الذي هو شفاء للناس.

والإنسان مع كمال صورته، وتمام عقله وفطنته، وما اختص به الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الخصائص جعل فيهم من الوحشة ما لا يخفىٰ، فأيّ فضيلة للنحل؟ وأيّ ذنب للإنسان؟ ليس ذلك إلا اختياره سبحانه.

ويقال إن الله — سبحانه – أجرىٰ سنّته أن يخفىٰ كلّ شيء عزيز في شيء حقير.

فجعل الإبريسم في الدود وهو أضعف الحيوانات، وجعل العسل في النحل وهو أضعف الطيور، وجعل الدّرّ في الصدف وهو أوحش حيوان من حيوانات البحر، وكذلك أودع الذهب والفضة والفيروزج في الحجر، كذلك أودع المعرفة به والمحبة له في قلوب المؤمنين وفيهم من يعصىٰ وفيهم من يخطئ" [(١)].

٢- اصطفاء لفظ يعرشون:

ومن تسخير الله تعالىٰ دلالتها علىٰ البيوت التي تبنىٰ بأنفسها، أو تتخذها مما يصنع الناس وهو العريش، الذي دارت أقوال المفسرين حوله علىٰ معنيين [(٢)]؛ نصَّ عليهما ابن جرير – رحمه الله – أحدهما: أنه الكرم، والثاني: ما يبنون[(٣)].

ومما يدخل في ذلك تسخير الله تعالى أن جعلها تتخذ ذلك في العريش: وهي الحيطان التي لا سماء لها، بفطرتها تتخذ خلاياها في كل ذلك لمنافع الخلق.

ولعل في هذا بيانا للسرّ في اصطفاء لفظ ﴿يَعۡرِشُونَ﴾ علىٰ غيره من نحو يبنون، يصنعون، أو يبنون، أو يُعدّون.

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٠٧)

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٦٩)، و تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٤١٠)، وبحر العلوم (٢/ ٢٨١)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)، وتفسير يحيىٰ بن سلام (١/ ٧٣)، والنكت والعيون (٣/ ١٩٩)، و تفسير السمعاني (٣/ ١٨٥)

(٣) ينظر: جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٢٤٧)

أنماط الخلايا:

وقد أحدث الناس بعض الأشكال الحديثة للخلايا، ولعلها كلها داخلة في إعجاز قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ، الذي جاء التعبير فيه بالجملة الفعلية الدالة علىٰ التجدد والحدوث، يشهد لهذا اللفظ تجدد أنماط الخلايا، نمطًا تلو نمط، من اختراعات الناس وإبداعاتهم ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾،[1]، مما اخترعوه ولا زالوا يخترعونه؛ إذ القرآن المعجز عبَّر باللفظ الدال علىٰ التجدد والحدوث ﴿يَعْرِشُونَ﴾ ، فلن يزالوا ﴿يَعْرِشُونَ﴾ ، ولن تزال النحل بإلهام خالقها تتخذ من هذه المحدثات ﴿بُيُوتًا﴾ .

٣- اصطفاء لفظ (اسلكي):

تدور معاني السلك حول: الطريق، وإدخال الشيء في شيء، وتلقاء الوجه، والاستقامة، والدخول، والاجتماع[2].

---

(١) ومن تلك الأنماط:

١-خلية (لانغستروث) ذات الأطر العشرة:

والمسافة بين الأطر، وعدد الأطر في الخلية كانت نتيجة لمقاييس العناية التي تمت بواسطته، ويُقدَّر أن أكثر من ٩٠٪ من تجهيزات النحالة المستخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا هي قياس الخلية ذات الأطر العشرة.

٢-الخلية ذات الأطر الثمانية:

أقرب خلية منافسة للخلية ذات الأطر العشرة، لها أبعاد أضيق قليلا، يفضلها بعض النحالين؛ لأنها أخف للحمل.

٣-خلية (دادانت):

صنعها (دادانت) وأولاده، وهي خلية أعمق، تتسع لأحد عشر إطارا، والمسافات بينها أوسع قليلا من خلية (لانغستروث) ذات الأطر العشرة.

٤-الخلية العميقة:

ابتكرها بعض النحالين، وهي خلايا تحمل أطرا عمقها (٣٨- ٥٠ سم)، تقوم علىٰ فكرة رئيسة؛ هي أن الخلية تسمح للنحل بعش حاضنة أكثر إحكاما.

الخلية ذات الحاجز العلوي:

تصنع هذه الخلايا عادة لتتسع لعشرين قرصًا أو أكثر، ولها عيوب؛ إذ إن الأقراص سهلة الانكسار، ينظر: موسوعة عسل النحل ٢٧٦

(٢) ينظر: العين (٥/ ٣١١)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٩٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٧١٦)

وبالتأمل في النصوص القرآنية والنبوية نجد تكرار التعبير بمادة (سلك) أكثر من غيرها مما قاربها من مواد، ومن تلك الشواهد ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾ [القصص: ٣٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٤٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ ﴾ [الحجر: ١٢].

وما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ "[1].

وما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: " لَوْ سَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ - أَوْ وَادِيَ الْأَنْصَارِ - وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ "[2].

وما جاء فيما قاله رَسُولُ اللهِ ﷺ لعمر ؓ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[3].

---

(١) مسند أحمد حديث ٨٢٩٩، ١٤/ ٦٦، وينظر: صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر، حديث ٢٦٩٩، ٤/ ٢٠٧٤، ومسند ابن أبي شيبة كتاب الأدب، ما جاء في طلب العلم وتعليمه، حديث ٢٦١١٧، ١/ ٥٥، وسنن الدارمي كتاب العلم، باب في فضل العلم والعالم، حديث ٣٦٨، ١/ ٣٦٢،، و سنن ابن ماجه افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، حديث ٢٢٣، ١/ ٨١

(٢) مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ١٨، ١٥/ ٢١٥، وينظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم " لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار"، حديث ٣٧٧٨، ٥/ ٣١، والبحر الزخار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، حديث ٧٣٧٩، ١٣/ ٥٢٤، و السنن الكبرىٰ للنسائي، كتاب المناقب، باب ذكر قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم " لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار"، حديث ٨٢٦٩، ٧/ ٣٧٧، و المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب ذكر فضائل الأنصار رضي الله عنهم، ٦٩٦٩، ٤/ ٨٨

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث ٣٢٩٤، ٤/ ١٢٦، وينظر: عمل اليوم والليلة للنسائي، باب ما يقول إذا رأىٰ من أخيه ما يعجبه، حديث ٢٠٧، ص: ٢٣٢، والمسند للشاشي، مسند سعد بن أبي وقاص، حديث ١١٨،١/ ١٧٤، وشرح السنة للبغوي، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عمر بن الخطاب بن نفيل أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث ٣٨٧٤ ١٤/ ٨٤

بخلاف الكلمات المرادفة الأخرىٰ التي تخالفها في المعنىٰ الدقيق، أو تثقل في السمع، ولا ترقىٰ لاصطفاء لفظ (اسلكي) في هذا السياق، وقد وقفت علىٰ كلمات تقترب في المعنىٰ من كلمة (سلَكَ)، إلا أنها لا توازيها لا في سهولة نطقها، ولا في دقة دلالتها علىٰ المراد، وهذا بيان ببعض تلك الكلمات مع معانيها [(١)]:

الرقم	الكلمة	المعنىٰ
١	الدُّخُول	نقيض الْخُرُوج
٢	غللْتُ فِي الشَّيْء	دخلت فِيهِ
٣	وغَل فِي الشَّيْء	دخل فِيهِ وتوارىٰ بِهِ
٤	كارزَ فِي الْمَكَان	اخْتَبَأَ
٥	الدُموج	الدُّخُول
٦	الولوج	الدُّخُول
٧	انحشَك فِي الشَّيْء	دخل فِيهِ
٨	اندمَق	دخل
٩	انكرس	دخل فِي الشَّيْء
١٠	اندمج	دخل فِي الشَّيْء
١١	ادْرَمّج	دخل فِي الشَّيْء
١٢	انّمَس	دخل فِي الشَّيْء
١٣	انزَبق	دخل فِي الشَّيْء
١٤	انزقَب	دخل فِي الشَّيْء
١٥	دغلْتُ فِي الشَّيْء	دخلت فِيهِ
١٦	لبَ فِي الْبَيْت	دخل
١٧	قمع فِي بَيته وانقمَع	دخله مُستخفِيًا
١٨	غُرْت فِي الشَّيْء	دخلت فِيهِ

(١) للمزيد حول هذه الكلمات، ومعانيها، ومن قال بها، ينظر: المخصص (٣/ ٣٣١)

٤- اصطفاء لفظ {ربّ}:

لماذا اصطُفِي لفظ {رب} هنا دون الأسماء الحسنىٰ الأخرىٰ؟ تساؤل أجاب عنه البقاعي بلطيفة من لطائفه حين قال: " أشار باسم الربّ إلىٰ أنه لولا عظيم إحسانه في تربيتها لما اهتدت إلىٰ ذلك" [١].

فناسب لفظ {ربّ} ما يدل عليه من معاني التربية، والهداية، والرعاية، والدلالة، والتيسير.

٥- اصطفاء لفظ (قوم):

الأصل في المراد بـ(القَوْم) جماعة الرّجال دون النّساء، وعليه قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾ [الحجرات: ١١]، وقول زهير:

وما أدري وسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حِصنٍ أمْ نِساءُ [٢]

إلا أنه في عامّة القرآن أريد بالقوم الرجال والنّساء، جميعا[٣]، وعلىٰ ذلك فالجميع رجالا ونساءً مخاطبون بالتفكر في شأن النحل والآيات العجيبة في شأنها.

٦- اصطفاء مادة التفكر في ختام الآية:

جاء ختام آية النحل بما يناسب ما جرىٰ فيها من أحداث عجيبة، وإشارات بديعة، من الوحي، والتذليل، وخروج العسل من بطونها، وغير ذلك، لذلك جاء الختام بلفظ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ و" الْفِكْـرَةُ: قوّة مطرقة للعلم إلىٰ المعلوم، والتَّفَكُّرُ: جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان"[٤].

وفي ذلك تناسب بديع بين مطلع الآية وختامها، فـ"كما أشار في ابتداء الآية إلىٰ غريب الصنع في أمرها، أشار إلىٰ مثل ذلك في الختام بقوله تعالىٰ: ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾"[٥].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ١٩٩)

(٢) ينظر: شرح شعر زهير بن أبي سُلمىٰ ٦٥

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٩٣)

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٤٣)

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ١٩٨)

٥) الإطلاق والتقييد:

أولا: الإطلاق في {كلي من كل}:

الإطلاق المستفاد من لفظ التعميم الوارد بصيغة {كلّ} في الأمر بالأكل إشارةٌ إلىٰ كون النحل "تأكل الحامض والمرَّ وما لا يُوصَف طعمه فيُحِيلُ الله ذلك عَسَلاً"(١). وأكلها ذلك من نوع ما تأكل النحل، أو من جميع الثمرات التي تكون في الجبال(٢)، مع كون تلك الثمرات مختلفة الطعم والمنظر والمشم(٣). واختلاف الأكل هذا أدىٰ إلىٰ اختلاف ألوان الشراب الخارج (٤).

والنّحل أصغر حيوان استأنسه الإنسان، وبسبب دوره في تلقيح المحاصيل الزراعية، أصبح نحل العسل ثالث الكائنات الحية المزرعية المستأنسة أهمية في أوروبا(٥).

ولهذا الكائن المنتشر في العالم كثرة وتنوعًا وفائدة ناسب التعميم بلفظ {كل} من الله الرزاق الكريم.

ثانيًا: التقييد:

وكما وقفنا علىٰ الإطلاق في عموم لفظ {كل} نقف علىٰ التقييد الوارد في الآيتين الكريمتين، الذي جاء علىٰ صور عديدة، أوردها علىٰ النحو التالي:

١- التقييد بالجار:

جاء التقييد بالجار والمجرور في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾. الأمر الذي يقودنا إلىٰ تساؤل؛ مفاده: ما سبب اختصاص النّحل بذكر الوحي مع كون البهائم كلها مشتركة في ذلك الإلهام والوحي ؟

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٠)، وينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٧٢)

(٢) تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)

(٣) ينظر: بحر العلوم (٢/ ٢٨١)

(٤) ينظر: النكت والعيون (٣/ ١٩٩)

(٥) ينظر: نحل العسل المعجزة ٤٢

والجواب علىٰ ذلك ما ذكره الماتريدي حين قال: " قيل: يحتمل تخصيص النحل بالذكر - والله أعلم - لما أن هذه الأشياء غير النحل لا تعطي تلك المنافع التي جعلت فيها، ولا تبذل للبشر إلا بالرياضة والتعلم، والنحل تعطي ذلك لهم وتبذل من غير تعلم ولا رياضة، والله أعلم " [١].

٢- التقييد بالمفعول:

من واقع التقييد الوارد في قوله تعالىٰ ﴿بُيُوتًا﴾ أتساءل:لماذا النص علىٰ اتخاذ البيوت (التقييد بالمفعول)؟

كما يرد تساؤل عن الحكمة من النص علىٰ اتخاذ هذا المخلوق الضعيف بيوتًا له؛ إذ قال تعالىٰ {أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشُون}، والجواب والله أعلم أن ذكر بيوتها لما ألهمها وأودعه في غرائزها من صحة القسمة وحسن المنعة [٢]، وأن الأمور إنما تستقر وتتم بالمأوىٰ الذي يجمعها وينظمها.

أنواع النحل باعتبار بيوتها:

النحل باعتبار مساكنها نوعان:

النوع الأول: ما يسكن في الجبال والغياض ولا يتعهدها أحد من الناس.، قال ابن عباس: هي تتخذ من الجبال لأنفسها بيوتا إذا كانت لا أصحاب لها [٣].

والنوع الثاني: التي تسكن بيوت الناس وتكون في تعهدات الناس.

فالأول هو المراد بقوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ .

والثاني: هو المراد بقوله: ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ وهو خلايا النحل [٤].

وعلىٰ ذلك فبيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع، إما في الجبال وكواها، وإما في

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٢٩)

(٢) ينظر: النكت والعيون (٣/ ١٩٩)

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٦٩)

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٢٠/ ٢٣٧)

متجوف الأشجار، وإما فيما يعرش ابن آدم من الأجباح والحيطان ونحوها[١].

وهي بيوت في غاية الإتقان من حيث البناء المحكم، ومن ذلك استيعابها الأعداد الكبيرة التي تعيش في تلك البيوت، إذ إن الخلية تحتوي " في المتوسط علىٰ نحو خمسين ألفا من الأفراد يعيشون داخلها وفق نظام محكم في ترابط اجتماعي تام"[٢].

وهذه النحل متباينة في أصنافها وسلالاتها، وأعراقها، بل إن النحل الذي استوطن المناطق الجنوبية يختلف عن النحل الذي استوطن في المناطق الشمالية، في روسيا، وسيبريا، ومناطق الشمال الأقصىٰ، لونها قاتم قريب من اللون البني، يغطي جسمها وبر كثيف، وهو مهم جدا لحياة النحل في المناخ البارد، والوبر الذي يغطي جسمها أكثر طولا من الأنواع الأخرىٰ، خاصة من أنواع النحل الجنوبية[٣].

ما النكتة في ترتيب بيوت النحل؟

يرد تساؤل مهم؛ مفاده: لماذا قدم ذكر الجبال علىٰ الشجر وبعدها ما يعرشه البشر؟

ومن الجواب أن تقديم ذكر الجبال علىٰ الشجر وبعدها ما يعرشه البشر؛ قد يكون ذلك راجعًا إلىٰ سهولة الاتخاذ وتوفره، فمجال الاتخاذ من الجبال أوسع منه في الأشجار، لأن من الجبال ما فيه شجر، وما ليس فيه شجر، أما الأشجار فإنها أقل انتشارا من الجبال، وأما ما يبنيه البشر من البنيان، فليس من السهولة بمكان أن يجد النحل له مكانا لبيته، فلا بد أن يبحث كثيرا فيما يعرشه بنو البشر حتىٰ يجد له موطئ قدم[٤].

تساؤل:

وهنا أطرح تساؤلا لا أجزم بإجابته، مفاده: هل تفيد﴿ ثُمَّ ﴾ الدالة في أصلها علىٰ الترتيب والتراخي إشارة عظيمة إلىٰ أهمية المسكن؟ وأنه من الضرورات؟

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)
(٢) نحل العسل وشفاء الأمراض ٩
(٣) موسوعة النحل ٦٥
(٤) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني (ص: ١٣٧)

حتىٰ جاء الأمر به قبل الأكل، وقبل الإنتاج والعمل؟!

٣- التقييد بالحال:

ومن التقييد في هاتين الآيتين التقييد بالحال ﴿ذُلُلًا﴾، وحول التقييد بالحال ﴿ذُلُلًا﴾ ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – قولين اثنين، هما:

١) الطرق مُذَلَّلة لها، لا يتوعَّر عليها مكان سلكته.

٢) النحل ذاتها مطيعة[1]؛ ذلك أنهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون، وهي تتبعهم. علىٰ حدّ قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾[2].

ويحتمل أن تكون طاعتها لقائدها؛ إذ "يُقَال: إن للنحل يعسوبا – وَهُوَ سيد النَّحْل – إِذا وقفت وقفت، وَإِذا سَارَتْ سَارَتْ"[3].

ترجيح الطبري:

ومع استحسان الإمام الطبري –رحمه الله – القولين كليهما إلا أنه رجّح القول الأول؛ لأنه الأقرب.

وقد ذللت لها سبل ربها، وسهل السلوك فيها حتىٰ تسلك كيف شاءت[4]، وسبحان الله القادر، الذي أرانا من واقع النحل أنها تصل إلىٰ أماكن لا يصلها الإنسان بمعداته وما سخر الله له إلا بصعوبة، فسبحان من ذلل لها السبل، وهيّأ لها

(١) ينظر: جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٢٤٧)

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٤١٠)، والنكت والعيون (٣/ ١٩٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٠)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦١٨)، تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٧٦)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)، والتفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٦٩)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٤١٧)، وتفسير يحيىٰ بن سلام (١/ ٧٣)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٢٨)

(٣) تفسير السمعاني (٣/ ١٨٦)

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٢٩)

أمر الطعام والسكن، الذي جعل حال السبل لها مذللة ميسَّرة.

من آثار قدرة الله تعالىٰ :

وقد ألمح الماتريدي إلىٰ أن هذا التذليل يدل فيما يدل علىٰ قدرة الله تعالىٰ؛ فقال: "ذلل لك كل شيء قدره لرزقك ومسلكك؛ وذلك في طلب ما سبل لبني آدم وجعلها سببًا لمنافعهم وصغر قدرك لديهم، فذلك قدرته وسلطانه علىٰ ما شاء؛ ليعلموا أن خالقهم لا يعجزه شيء، وأنه القدير علىٰ ما يعدهم من البعث والثواب والعقاب" [(١)].

لغة النحل:

مما يدخل في التذليل للنحل ما تحدث عنه العلماء حول (لغة النحل)، إذ إن في الخلية ثلاثة أفراد تتميز (بيولوجيا)؛ هي الملكة، والشغالة – ومن مهامها تنظيف الأعين السداسية تنظيفا تاما قبل وضع البويضات فيها [(٢)] – والذكر.

ولها طريقتها الخاصة في التفاهم بينها إذ إن تناقل أفراد النحل المعلومات الخاصة بوجود مصادر الطعام عن طريق هزات البطن هزات متتابعة من الحركات الخاصة، فعندما تعثر نحلة شغالة علىٰ مصدر للطعام (رحيق الأزهار) أو حبوب لقاح، فإنها تحمل بعضه وتعود إلىٰ الخلية، ثم تقوم برقصة أمام السطح الرأسي للخلية، فإذا كان مصدر الطعام قريبا من موقع الخلية كانت الرقصة دائرية بسيطة في اتجاه عقارب الساعة، أما إذا كان مصدر الطعام بعيدا فإن النحلة تقوم برقصة علىٰ شكل الحرف (٨)، بمعنىٰ أنها تدور أولا في اتجاه عقارب الساعة، ثم تعكس الاتجاه في عكس عقارب الساعة.وفي اللحظة التي تبدأ فيها تغيير الاتجاه تقوم بعدة حركات اهتزازية للبطن، وتكرر هذه الدورات والحركات عدة مرات، تختلف باختلاف بعد مصدر الغذاء عن الخلية [(٣)].

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)

(٢) ينظر: نحل العسل المعجزة ١٦٠

(٣) ينظر: نحل العسل دراسة عن السلوك والإنتاج ورعاية المناحل ٢٤٠

ومن آثار تذليل السبل للنحل ما ذكره الباحثون المعاصرون من أن النحلة السارحة تنجز كل يوم من ثلاث إلىٰ عشر رحلات طيران، كما أن بإمكان النحلة السارحة أن تجمع الرحيق لمدة تمتد من عشرة إلىٰ عشرين يوما[١].

٦) المجاز المرسل:

وكان للمجاز المرسل ورود في هاتين الآيتين؛ مما يمكن أن نشير إليه في علاقتين من علاقاته [٢]؛ هما: (اعتبار ما كان)، و (اعتبار ما سيكون).

١ - اعتبار ما كان:

يمكن أن نتلمس نكتة بلاغية في سياق هاتين الآيتين؛ وهو ما يعبر عنه البلاغيون بـ(تسمية الشيء باسم ما كان عليه)[٣]، في معرض حديثهم عن علاقات المجاز المرسل؛ كقوله عز وجل: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ أي: الذين كانوا يتامىٰ؛ إذ لا يتم بعد البلوغ، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ سماه مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام[٤].

وهو ما نجده هنا في قَوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾؛ لاحتمال ورود سؤال مفاده: إِنَّمَا يخرج من أفواهها لَا من بطونها؟ وَالْجَوَاب عَنهُ أَنه إِنَّمَا ذكر بطونها لِأَن الاستحالة تقع فِي بطونها؛ وَلِأَنَّهُ يخرج من بطونها إِلَىٰ أفواهها، ثمَّ تسيل من أفواهها كَهَيئَةِ الرِّيق[٥]، وعليه فَذكْرُ البطون دون الأفواه وارد علىٰ اعتبار ما كان.

وفي التعبير القرآني الوارد بلفظ: (البطون)، مع أن الإخراج من الريق، أو "من

(١) ينظر: نحل العسل المعجزة ٨٢

(٢) للمجاز المرسل في المفرد، أو في المركب، العديد من العلاقات؛ منها: السببيّة والمسببيّة، والكليّة والجزئية، واللّزوم، والمجاورة، والعموم والخصوص، والحالّية والمحليّة، واعتبار ما كان أو ما سيكون، والآليَّة، إلىٰ غيرها من علاقاتٍ وملابسات.ينظر مثلا: البلاغة العربية (٢/ ٢٩٦).

(٣) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٣/ ٤٧٠)

(٤) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٣/ ٤٧٠)، والمنهاج الواضح للبلاغة (١/ ١٣٧)

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (٣/ ١٨٦)، و إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٤٨٧)

غدد خاصة منتشرة علىٰ بطنها شأنها في ذلك شأن غدد أخرىٰ موجودة أيضًا علىٰ البطن لإنتاج منتجات أخرىٰ كلها تخرج من أماكن خاصة في البطن"[١] إشارة إلىٰ أن " الأمر – وإن كان كذلك – فهو يخرج من جهة أجوافها، وبطونها، ويكون العسل باطنًا في فيها، وقد خاطب بهذا الكلام أهل تهامة، وهذيلاً، وضواحي كنانة، وهؤلاء هم أصحاب العسل، والأعراب أعرف بكل صمغة سائلة، وعسلة ساقطة، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا البيان، أو طعن عليه من هذه الجهة"[٢].

٢- اعتبار ما سيكون:

وكما اشتملت الآيتان الكريمتان علىٰ علاقة (ما كان) فقد جاء فيه المجاز المرسل فب علاقة (ما يكون) وهو ما نجده في التعبير القرآني بلفظ ﴿شَرَابٌ﴾، الذي أشار فيه بعض المفسرين[٣] إلىٰ ما يمكن أن نسميه علاقة (اعتبار ما يكون) في باب المجاز المرسل، وذلك بتسمية الشيء باسم ما يؤول إليه[٤]؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾، أي ما سيكون خمرًا، ومن ذلك آية النحل هنا، حيث جاءت تسمية الخارج من النحل شرابًا؛ في قوله تعالىٰ: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ حين سمّاه شرابا إذ يجيء منه الشّراب.

٧) خروج الأمر عن معناه الحقيقي:

للعلماء قولان حول الأمر الوارد في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾:

الأول: إنه لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول، ولا يبعد أن يتوجه عليها من الله تعالىٰ أمر ونهي.

الثاني: إن الأمر ليس كذلك؛ بل المراد منه أنه تعالىٰ خلق فيها غرائز وطبائع

(١) ينظر: نظرات متجددة في رحاب آيتي النحل ١٠

(٢) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٢/ ٨٠٨)

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٠)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٤٨٧)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٢/ ٨٠٨)

(٤) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٣/ ٤٧٠)

توجب هذه الأحوال[(١)].

والقول الثاني هو ما مال إليه الماتريدي إذ نصَّ علىٰ أن ظاهره أمر، لكنَّ حقيقته تمكين وتسهيل[(٢)].

وبناء علىٰ اختيار القول الثاني فإن الأمر هنا يدخل في باب خروج الكلام علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر المشار إليه في حديث البلاغيين عن خروج الأمر عن معناه الحقيقي[(٣)].

بين التوكل وعمل الأسباب:

وفي تأمل صيغ الأمر الواردة في قوله تعالىٰ {اتخذي} و{كلي} و{اسلكي} يتبين أن الله تعالىٰ مع تسخيره المسكن والمطعم والمسلك لهذه النحل إلا أنه أمرها بالعمل والحركة، وذلك تمشِّيًا مع نواميس الحياة في القيام بالعمل مع التوكل علىٰ الله، يؤيد ذلك ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه إذْ يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[(٤)].

وما رواه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إذْ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَوْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[(٥)].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٣٧)

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٢٩)

(٣) ينظر مثلا: الإيضاح في علوم البلاغة ٣/ ٨٥

(٤) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث ٢٥١٧، ٤/ ٦٦٨، وينظر: الآحاد والمثاني، كتاب الرجال، باب ومن بني ضمرة...عمرو بن أمية، حديث ٩٧٠، ٢/ ٢١٥، و صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل، حديث ٧٣١، ٢/ ٥١٠، و أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني، قوله صلىٰ الله عليه وسلم "اعقلها وتوكل"ص: ٧٩، وموارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان، كتاب الزهد، باب ما جاء في التوكل، حديث ٢٥٤٩ ص: ٦٣٣

(٥) مسند أبي داود الطيالسي، الأفراد عن عمر، حديث ٥١، ١/ ٥٥، وينظر: مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث ٢٠٥، ١/ ٣٣٢، والمنتخب من مسند عبد بن حميد، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث ١٠، ص: ٣٢، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، حديث ٤١٦٤، ٢/ ١٣٩٤، والآداب للبيهقي، باب التوكل علىٰ =

وهذا من لطائف الآية الكريمة، وبديع التعبير فيها، إذا اشتملت علىٰ حسن الألفاظ وكريم التوجيهات، وعظيم الإشارات.

٨) ظاهرة الجمع في الآيتين الكريمتين:

مما يلاحظ بالتأمل في النظم القرآني في هاتين الآيتين ظاهرة أسلوبية تتمثل في الدلالة علىٰ (الجمع)، وقد جاءت هذه الظاهرة علىٰ أضرب متعددة:

١- الألفاظ الدالة علىٰ العموم، {كل}.

٢- أسماء الجمع وهو: " اسم مفرد موضوع لمعنىٰ الجمع فقط" [(١)]، {النَّاس، وقوم}.

٣- أسماء الجنس الجمعي، ومنه ما يفرَّق بينه وبين مفرده بالتاء [(٢)]، {النَّحل، والشَّجر}.

٤- الجمع المختوم بالألف والتاء {الثَّمرات}.

٥- جمع التكسير {الجبال، وبيوت، وسُبُل، وذُلل، وبطون، وألوان}.

٦- واو الجماعة المقترنة بالفعل المضارع، بما يدل علىٰ الجمع، وهو من ضمن الأفعال الخمسة، " وهي: كل فعل مضارع اتصل به ألف اثنين نحو تفعلان ويفعلان، أو واو جمع نحو تفعلون ويفعلون، أو ياء مخاطبة نحو تفعلين" [(٣)] {يعرشون، ويتفكرون}.

ولا يخفىٰ ما في هذا الحشد الكبير في ألفاظ (الجمع) من دلالات علىٰ أهمية العمل الجماعي الذي هو ركيزة مهمة من بناء مملكة النحل.

=

الله عز وجل، حديث ٧٧٤، ص: ٣١٣

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي (٢/ ٢٠٢)، وينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٣/ ١٤١٦)، وشرح التصريح علىٰ التوضيح (٢/ ٤٤٩)

(٢) ينظر: حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ٣٩)، وشرح التصريح علىٰ التوضيح (١/ ١٨)، وشذا العرف في فن الصرف (ص: ٩٧)

(٣) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك (١/ ٩٢)، وينظر: اللمع في العربية لابن جني (ص: ١٢٥)، وملحة الإعراب (ص: ٧٨)، و الآجرومية (ص: ٩)

ومـن لطـائف العمـل الجمـاعي في مملكـة النحـل مـا ذكـره الجـاحظ في قولـه: "والنحل تجتمع فتقسم الأعمال بينها، فبعضها يعمل الشّمع، وبعضها يعمل العسل، وبعضها يبني البيوت.

ومنه ما يبكّر إلىٰ العمل، ومن النحل مـا يكفّـه؛ حتىٰ إذا نهضـت واحـدة طـارت كلها، يقال)بكّر بكور اليعسوب)، يريد أمير النحل لأنها تتبعه غدوة إلىٰ عملها.

ومنها ما ينقل العسل من أطراف الشجر، ومنها ما ينقل الشّمع الذي تبني به، فلا تزال في عملها حتىٰ إذا كان الليل آبت إلىٰ مآبها " [١].

كمـا أن مـن مظـاهر العمـل الجمـاعي في خليـة النحـل أن النحـل السـارحة تنـتج وتنطلق من الخلية بمعدل مئة ألف إلىٰ مئتي ألف نحلة سارحة سنويا [٢].

ومـن الممكـن أن نـرىٰ في هـذه الـدلالات الجمعيـة المتواليـة مـا يـدعونا – ولـو تلميحا– إلىٰ أهمية التأمل والتفكر الجماعي القائم علىٰ الأبحاث، ومراكـز التحليـل والمختـبرات، وبيـوت الخـبرة، التـي مـن شـأنها أن ترتقـي بالاكتشـافات الحديثـة المستنيرة بالكتاب العزيز.

ولمزيد من التحليل أقف علىٰ بعض الألفاظ الواردة في صيغة (الجمع)، وهي:

أ- الجمع الوارد في قوله تعالىٰ ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ :

حيث تعددت أقوال المفسرين في المراد بالسبل المجموعة هنا، وهـذه الأقـوال في عمومها تدل علىٰ المعاني التالية:

١- الطرق في عمل العسل، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ[٣].

٢- المسالك ومنافذ المآكل التي تتحول فيها الثمرات المرَّة إلىٰ عسل[٤].

٣- الطرق في طلب الثمرات مهما بعُدتْ، لا تضل فيها ولا تتعثر[٥].

---

(١) الحيوان (٥/ ٢٢٢)

(٢) ينظر: نحل العسل المعجزة ٨٤

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦١٨)، والتفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٦٩)

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦١٨).

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦١٨)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ =

٤- سبل المأوىٰ[١].

ب- الجمع في قوله تعالىٰ: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾:

كما أقف علىٰ لفظ آخر وارد بصيغة الجمع؛ الدالّ علىٰ مظهر من مظاهر الإعجاز في هذه الآية الكريمة، حيث أشارت بصيغتها هذه إلىٰ تعدد الألوان للعسل الخارج من النحل، وهو ما أشار إليه المفسرون -رحمهم الله- إذ تعددت أقوالهم حول المراد بقوله - تعالىٰ - ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ علىٰ عدة أقوال، يمكن جمعها فيما يلي:

١- أنهما: الشهد والعسل، وهو قول الحسن.

٢- أنه مختلف في الطعم.

٣- أنه مختلف في الألوان: الأبيض -وهو المسمّىٰ الماذي- [٢] والأحمر، والأصفر[٣]، وهو قول ابن عباس ﷺ[٤]، والأسحر - وهو ذو الألوان المختلفة مثل الأبيض الذي يضرب إلىٰ الحمرة - وغير ذلك من الألوان[٥]، " وأجود العسل ما كان لونه لون الذهب" [٦].

وهذا الاختلاف بحسب اختلاف النحل والمراعي، ومن هذا المعنىٰ قول زينب – رضي الله عنها – للنبي ﷺ: "جرست نحله العرفط " حين شبهت رائحته برائحة المغافير[٧].

ولا يخفىٰ ما في ذلك من دلالة قدرته – تعالىٰ – علىٰ إنشاء الأشياء من لا شيء، ودلالة علمه وتدبيره؛ لأنه أخرج من هذه الجواهر المختلفة أشياء من غير جوهرها

=

٤٠٦)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)

(١) ينظر: تفسير يحيىٰ بن سلام (١/ ٧٣)

(٢) ينظر: كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية (ص: ٢٢٠)

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٢٩)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٧٦)

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٧٢)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٦١١)

(٥) ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٤٩)

(٦) الحيوان (٥/ ٢٢٢)

(٧) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)

وجنسها ما لم يكن شيء مما أكل منها من الجواهر التي أخرج منها، من نحو العسل الذي أخرج من الفواكه التي أكلت، واللبن من العلف الذي أكل، والعصير والسكر والأعناب من الكروم؛ إذ ليس شيء خرج منها من جنس ما أكل، ولا من جوهر ما سقىٰ، فدلّ أنه كان فعل عليم قادر علىٰ إنشاء الأشياء من لا شيء ولا سبب.

وفيه دلالة علمه وتدبيره وحكمته؛ إذ دلّ علىٰ أن علمه وتدبيره غير مقدر بعلم الخلق، وأن حكمته غير مقدرة بحكمة الخلق، وكذلك قدرته غير مقدرة بقدرة الخلق[١]، فسبحان من أحسن خلقه وأبدعه، وأحكم نظم كتابه إذ أنزله.

أنواع العسل الأكثر شيوعا في العصر الحديث:

ما سبق كان إشارات لعلمائنا الأجلاء حول ألوان العسل وأنواعه حسب ما توصل إليه علمهم مما دونوه – رحمهم الله – في مصنفاتهم، أما الباحثون في العسل في عصرنا هذا فقد أشاروا إلىٰ أنواع العسل الأكثر شيوعا، مبينين خصائصها النوعية، ومن مصدر واحد من المصادر وقفت علىٰ العديد من أنواع العسل، من خلالها نزداد يقينًا بقوله تعالىٰ: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾[٢].

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٢٩)

(٢) ومن تلك الأنواع:

١- عسل السنط: لونه عنبري (أصفر ذهبي)، ورائحته خفيفة، وطعمه حلو جدًا، ويوجد في الحوض الباريسي.

٢- عسل الزعرور: لونه عنبري خفيف، ورائحته عطرة، وطعمه حلو عذب المذاق.

٣- عسل الخلنج: لونه بني غامق، ورائحته قوية، وهو لزج شبه سائل.

٤- عسل الكستناء: لونه بني غامق، ورائحته قوية، وهو سميك، وأحينا لزج، ومصدره الجبال.

٥- عسل اللفت الزيتي: لونه شاحب، ورائحته حيادية، وطعمه خفيف، ومصدره النصف الشمالي الفرنسي،

٦- عسل اوكالبتوس: لونه عنبري، ورائحته عطرية، وهو عذب المذاق، ومصدره أسبانيا.

٧- عسل الخزامىٰ: لونه عنبري، ورائحته عذبة عطرية، وطعمه عذب، ومناطقه من الجنوب الأورروبي.

٨- عسل البرتقال: لونه عنبري خفيف، ورائحته خفيفة، وهو عذب المذاق، ومصدره أسبتنيا.

٩- عسل إكليل الجبل: لونه شاحب إلىٰ لون البياض، ورائحته عذبة رقيقة، ومصدره محافظات البحر المتوسط.

=

الجمع يرشد إلىٰ لطيفة في الرد علىٰ القول بخلق الطبيعة:

يضاف إلىٰ ما سبق من دلالة صيغة الجمع علىٰ مظهر من مظاهر الإعجاز، يضاف إلىٰ ذلك وجه من الإعجاز القرآني في الردّ علىٰ القائلين بأن الطبيعة هي الموجدة للمخلوقات، وهو ما نراه في إشارة الرازي – رحمه الله – إلىٰ لطيفة في قَوْله تعالىٰ {مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ} مفادها أن " المعنىٰ: أن منه أحمر وأبيض وأصفر.ونظيره قوله تعالىٰ:{ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود} فاطر: ٢٧ والمقصود منه: إبطال القول بالطبع، لأن هذا الجسم مع كونه متساوي الطبيعة لما حدث علىٰ ألوان مختلفة، دل ذلك علىٰ أن حدوث تلك الألوان بتدبير الفاعل المختار، لا لأجل إيجاد الطبيعة"(١).

ت – دلالة الجمع في لفظ {قوم}:

وأختم الحديث عن ظاهرة الجمع بإعادة الإشارة إلىٰ ما يمكن أن يُستفاد من دلالة التفكر المذكورة هنا القائمة علىٰ العمل الجمعي المدلول عليه بلفظ { قوم } المتبوع بإسناد الفعل إلىٰ الواو والنون { يتفكرون } أهمية التفكر عن طريق المدارسة، وذلك بعدة طرق، منها المحاضرة، والموعظة، والخطبة، والمعامل، والدراسات الحديثة، والتجارب الميدانية، ونحو ذلك مما يستجد فيما سخّره الله –

=

١٠- عسا إيدوصارون: لونه أبيض، ورائحته حيادية، من منطقة جانتينيسا.

١١- عسل التنوب: لونه بني مسود يميل إلىٰ الأخضر الغامق، ورائحته عطرية قوية، وطعمه لذيذ، من جبال الألب المركزية.

١٢- عسل الحنطة السوداء: لونه بني غامق، ورائحته مميزة، من مناطق أقصىٰ الشمال الغربي.

١٣- عسل الزعتر البري: لونه عنبري خفيف، ورائحته عطرية، من هضاب جنوب فرنسا ونجادها.

١٤- عسل الزيزفون: لونه أصفر شاحب، ورائحته عطرية قوية، وهو ثقيل دبق، من مناطق الجنوب الفرنسي.

١٥- عسل الزعتر الشائع: لونه بني غامق نسبيًّا، وهو سميك، من هضاب فرنسا ونجادها.

١٦-عسل البرسيم: لونه أبيض، ورائحته خفيفة ولذيذة، من الحوض الباريسي وكندا.ينظر: العسل غذاء وعافية ١٥٠

(١) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٣٨)

تعالىٰ- من العلوم الحديثة.

وقد أشرت إلىٰ الجمع في لفظ {قوم} عند إلقاء الضوء علىٰ الظاهرة الأسلوبية العامة في الآيتين محل الدراسة هنا، وهي ظاهرة (الجمع)، مما سبق ذكره قريبا.

٩) الإسناد في الفعل{يخرج}

يرد تساؤل هاهنا، مفاده ما السبب في إسناد فعل الخروج إلىٰ العسل دون إسناده إلىٰ النحل؛ حيث لم يقل (تُخرج)؟

والجواب – والله أعلم – ما ذكره البقاعي من أن النكتة في ذلك لفت الكلام إلىٰ عدم قصد النحل إلىٰ هذه النتيجة(١)، وعليه فإن المنة تتمحض لله تعالىٰ في إخراج هذا الشراب المميز المشتمل علىٰ الشفاء من النحل، دون أن تكون النحل نفسها هي المريدةَ لإخراجه أو المتفضلة في ذلك، فلله الحمد والفضل والمنة.

١٠) الالتفات في قوله تعالىٰ{ من بطونها }:

أشار العلماء – رحمهم الله تعالىٰ – إلىٰ نكتة بلاغية في قوله – تعالىٰ – مِنْ {بُطُونِهَا}، إذْ تحدثوا حول الالتفات عن (المخاطب) إلىٰ (الغائب)، مبينين" أن هذا رجوع من الخطاب إلىٰ الغيبة والسبب فيه أن المقصود من ذكر هذه الأحوال أن يحتج الإنسان المكلف به علىٰ قدرة الله تعالىٰ وحكمته وحسن تدبيره لأحوال العالم العلوي والسفلي، فكأنه تعالىٰ لما خاطب النحل بما سبق ذكره خاطب الإنسان وقال: إنا ألهمنا هذا النحل لهذه العجائب، لأجل أن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه" (٢).

وقد جاء هذا الالتفات لنكتة بلاغية وهي (الامتنان علىٰ العباد) (٣)، بهذه النعمة الكبيرة.

ويظهر في هذا الالتفات بيان " ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالىٰ التي هي

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ١٩٩)

(٢) التفسير الكبير (٢٠/ ٢٣٨)

(٣) ينظر: حاشية ابن التمجيد علىٰ تفسير البيضاوي ت٤/ ١٧٦

موضع العبرة " [١]، وكلّ ذلك جاء متوائمًا مع السياق؛ إذ إن الآيات مسوقة لبيان نعم الله تعالىٰ علىٰ الناس [٢]، حيث جاءت " تعديدًا للنعم، وتعجيبًا لكل سامع، وتنبيهًا علىٰ الغير، وإرشادًا إلىٰ الآيات العظيمة الحاصلة من هذا الحيوان الشبيه بالذباب" [٣].

ومن لطائف الالتفات هنا ما أشار إليه سامي القدومي بقوله: " الأكل والسلوك وجمع الرحيق من عمل النحل وجهده، ولذا ألهم النحل فعله، بينما خروج العسل من بطون النحل إنما هو أمر آخر لا شأن للإيحاء به؛ لأنه أمر خلقي في جسم النحلة"[٤].

١١) التنكير:

من الفنون البلاغية الواردة في هاتين الآيتين (التنكير)؛ وذلك ما سأقف عليه من خلال لفظين كريمين؛ هما قوله تعالىٰ: {شِفَاءٌ}، وقوله تعالىٰ: {آيَةً}، من خلال ما يلي:

أ- التنكير في قوله تعالىٰ: {شِفَاءٌ}:

الاستشفاء بالعسل:

ذكر العلماء – رحمهم الله تعالىٰ – في بيان معنىٰ قوله تعالىٰ – ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ ثلاثة أوجه؛ هي:

١- أن ذلك عائد إلىٰ القرآن، وأن في القرآن شفاء للناس أي بيانًا للناس، قاله مجاهد.

٢- أن ذلك عائد إلىٰ الاعتبار بها أن فيه هدىٰ للناس، قاله الضحاك.

٣- أن ذلك عائد إلىٰ العسل، وأن في العسل شفاء للناس، قاله ابن مسعود وقتادة[٥].

والقول إن المراد بالشفاء هنا هو العسل قول راجح، اختاره الإمام الطبري

---

(١) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٢٦، وينظر روح المعاني ١٤/ ٢٧٣، والتحرير والتنوير ١٤ / ٢٠٩

(٢) ينظر حاشية القونوي ت٤/ ١٧٦

(٣) فتح القدير ٣/ ١٧٥

(٤) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني (ص: ١٣٩)

(٥) ينظر: النكت والعيون (٣/ ١٩٩)، وزاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٧٠)، والتفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٧٢)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)

– رحمه الله – حيث قال: " وهذا القول، أعني قول قتادة، أولىٰ بتأويل الآية، لأن قوله {فِيهِ} في سياق الخبر عن العسل، فأن تكون الهاء من ذكر العسل، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولىٰ من غيره"[(١)].

هل العسل شفاء لكل داء؟

وللعلماء في الإجابة علىٰ هذا السؤال قولان:

١- فيه شفاء من الأدواء، قاله قتادة رحمه الله.

٢- فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه، قاله السدي رحمه الله[(٢)].

وعلى القول الأول يمكن حمل ما روي عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه كان لا يشكو شيئا إلا تداوىٰ بالعسل، حتىٰ إنه كان يدهن به الدمل والقرحة ويقرأ: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، كما قال ابن عطية – رحمه الله –: وهذا يقتضي أنه يرىٰ الشفاء به علىٰ العموم[(٣)].

وأيَّد الزمخشري – رحمه الله تعالىٰ – القول الثاني؛ حين قال عن العسل:" لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة، وقلّ معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل، وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك"[(٤)].

ولعل القول الثاني هو الأقرب – والله أعلم – إذ " لا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان، بل هو خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض دون بعض وعلىٰ حال دون حال، ففائدة الآية إخبار منبه منه في أنه دواء كما كثر الشفاء به وصار خليطا ومعينا للأدوية في الأشربة والمعاجين"[(٥)].

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٢٥٠)

(٢)ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٥٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠)، و تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦١٨)

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٠٦)، وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٧٦)

النكتة في تنكير (شفاء):

ومما يؤيد كون العسل شفاء لما هو شفاء له، وليس لعموم الأدواء، وروده منكَّرًا، لأن " تنكيره إمّا لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأن فيه بعض الشفاء، وكلاهما محتمل"(١).

ذلك أن العسل إنما يكون " شفاء إذا عرف الإنسان مقداره، ويعرف لأي داء هو.فإذا لم يعرف مقداره، ولم يعرف موضعه، فربما يكون فيه ضرر، كما إن الله تعالىٰ جعل الماء حياة كل شيء، وربما يكون الماء سببًا للهلاك" (٢).

لطيفة في الاستشفاء بالعسل:

ومن اللطائف في الاستشفاء بالعسل ما ذكره الماتريدي بقوله: " فيه شفاء لهم في الدِّين والعلم، يعلمون بما يشاهدون من تدبير الله وقدرته"(٣).

آثار في الاستشفاء بالعسل:

ومما يدخل في تنكير لفظ شفاء في قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ما ورد من الأحاديث عن النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – وما جاء في بعض الآثار عن السلف الكرام من الصحابة ومن بعدهم ﷺ أجمعين تشير إلىٰ الاستشفاء بالعسل، وفضله، وتكريم النحل، ومنها:

ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَخِي قَدِ اسْتُطْلِقَ بَطْنُهُ، فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلا فَسَقَاهُ عَسَلا، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلا اسْتِطْلاقًا، ثُمَّ قَالَ: اسْقِهِ عَسَلا، قَالَ: فَشُفِيَ إِمَّا فِي الثَّالِثَةِ، وَإِمَّا فِي الرَّابِعَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ" (٤).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦١٨)، وينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٦١١)

(٢) بحر العلوم (٢/ ٢٨١)، وينظر: مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٣٨)

(٣) تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، حديث ٥٦٨٤، ٧/ ١٢٣، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، ٢٢١٧، ٤/ ١٧٣٦

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ، ﷺ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ»[١].

وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: أُتِيَ بِرَجُلٍ سَقِيمٍ، فَقَالُوا: إِنَّا عَالَجْنَاهُ فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لِيَأْخُذَنَّ مِنْ مَهْرِ امْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، فَيَشْتَرِي بِهَا عَسَلا فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ فَلْيَشْرَبْ بِهِ، قَالَ اللهُ، تَعَالَىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[٢].

وعَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ عَلَيْكُمْ بِشِفَاءَيْنِ: الْقُرْآنِ وَالْعَسَلِ[٣].

وقال الحسن ﷺ: لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عابه مسلم[٤].

وقد كان يُنهىٰ عن تفريق النحل، وعن قتلها[٥].

ب- التنكير في قوله تعالىٰ: {آيَةً}:

ومما يعضد الحشد اللفظي والمعنوي في هذا السياق البياني لعِظَم أمر النحل وما يخرج منها مجيء المسند إليه { آية } نكرة؛ مما يدل علىٰ ارتفاع شأنه، وكونه أعظم جزالة، وأبلغ فخامة، كما هو مقرر في علم المعاني علىٰ ما ذكره البلاغيون[٦].

١٢) حسن الانتهاء بحسن التعبير باسم الإشارة فيه:

يمكن أن نرىٰ في الآيتين الكريمتين ما تحدث عنه علماء البلاغة في مصنفاتهم من (حسن الانتهاء)[٧].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الحلواء والعسل، حديث ٥٤٣١، ٧/ ٧٧، و صحيح مسلم، كتاب الأطعمة، باب وجوب الكفارة علىٰ من حرم امرأته، ولم ينو الطلاق، حديث ٢١، ٢/ ١١٠١، وسنن ابن ماجه، أبواب الأطعمة، باب القثاء والرطب يجمعان، ٣٣٢٣، ٢/ ١١٠٤

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٧٢)

(٣) ينظر: السابق (٣/ ٧٣)

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٦١)، و غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٦١١)، و المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٤٩٩)

(٥) ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٥٠)

(٦) ينظر مثلا: مفتاح العلوم (ص: ٢١٢)، والإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٣٥)، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ١٧٦)

(٧) ينظر مثلا: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٤/ ٧١٣

حيث جاء التعبير باسم الإشارة {ذلك} في موضعه المناسب؛ إذ إن من دلالاته التنبيه علىٰ أن ما يرد بعد اسم الإشارة فالمذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف[١].

وعليه فإن التعبير باسم الإشارة هنا جاء مناسبا لختام آية النحل، ذلك أن " في إخراج الله من بطون هذه النحل الشراب المختلف، الذي هو شفاء للناس، لدلالة وحجة واضحة علىٰ من سخَّر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل، واتخاذها البيوت التي تنحت من الجبال والشجر والعروش، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس، أنه الواحد الذي ليس كمثله شيء، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ولا تصحّ الألوهية إلا له "[٢].

إضافة إلىٰ ما أشار إليه الرازي من حيث: " خلق الله تعالىٰ الأجزاء النافعة في جو الهواء، ثم إلقاؤها علىٰ أطراف الأشجار والأوراق، ثم إلهام النحل إلىٰ جمعها بعد تفريقها وكل ذلك أمور عجيبة دالة علىٰ أن إله العالم بنىٰ ترتيبه علىٰ رعاية الحكمة والمصلحة"[٣].ولذا حسن التعبير باسم الإشارة حاملا معنىٰ أن الأمر العظيم المذكور من أمرها كله مشتمل علىٰ آية [٤].

وهكذا جاءت الآيتان الكريمتان مشتملتين علىٰ حسن الانتهاء؛ عطفًا علىٰ حسن الابتداء الوارد باللفظ الجليل ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ ﴾ . إنّ في ذلك الوحي المبارك، وما تبعه لآية بيّنة لمن أعمل فِكره في عجائب صنع الله تعالىٰ.

١٣) المشاكلة المعنوية في لطيفة حول طيب المأكل:

مما يمكن أن أشير إليه ورود (مشاكلة معنوية) في النظم القرآني في هاتين الآيتين الكريمتين، وهو من اللطائف والإشارات التي ذكرها القشيري؛ حيث قال متحدثًا

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ٢٠
(٢) جامع البيان ١٧/ ٢٥٠
(٣) التفسير الكبير (٢٠/ ٢٣٩)، وينظر: تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣٢)، وبحر العلوم (٢/ ٢٨١)
(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ١٩٨)

عن النحل: "ولما حفظ الأمر وأكل حلالا، طاب مأكله وجعل ما يخرج منه شفاء للناس"[١]، فبين المدخلات والمخرجات تناسب معنوي.

وهو مشابه إلىٰ حدٍّ مّا إلىٰ ردّ الأعجاز إلىٰ الصدور، الذي ذكره أبو هلال العسكري مشيرا: " أن لردّ الأعجاز علىٰ الصدور موقعا جليلا من البلاغة، وله في المنظوم خاصة محلا خطيرا" [٢].

وقد يكون ذا صلة بالتناسب بين المطلع والختام فيما يذكره البلاغيون في مصنفاتهم في معرض حديثهم عن حسن الختام بـ " أن يكون الكلام بارع المقطع أي: في ختامه روعة تهتز لها النفس، ويطرب لها السمع؛ ذلك أن ختام الكلام هو آخر ما تعيه الأذن، ويرتسم في الخيال "[٣].

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

(١) تفسير القشيري (٢/ ٣٠٦)

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر ٣٨٥، وينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١/ ٢٤٧، و تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ١١٦

(٣) المنهاج الواضح للبلاغة (١/ ١٧٧)، وينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ٢/ ٤٩٣، و نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ٧/ ٢٧٩

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي يسَّر لي العيش مع كتابه مدة مباركة من الزمن أتفيؤ ظلاله، وأنهل من معينه الذي لا ينضب، وأرتشف من رحيقه، وأعبق من زهره، من خلال معايشة آيتين كريمتين وردتا في سورة النحل، هما قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ هاتان الآيتان اللتان تحدث عنهما العلماء في القديم والحديث أحاديث مطوّلة، مما جاءت الإشارة في هذا البحث إلىٰ بعضه.

١ – حيث أشار البحث بتوفيق الله تعالىٰ إلىٰ بعض الوقفات البيانية الدلالية في النظم القرآني لهاتين الآيتين، ودلالة التراكيب المختلفة في خدمة النص القرآني، من نحو التعبير بصيغة الأفعال المضارعة الدالة علىٰ التجدد والحدوث، ومناسبتها لما وردت في سياقه، ومن نحو اصطفاء ألفاظ خاصة لم يكن غيره ليعبر عن معناها دونها، ومن الترتيب المنطقي، والتطور الارتقائي المدلول عليه بالتعاطف الاشتراكي، أو التعاطف مع التراخي، ونحو ذلك.

٢ – كما جاء في صفحات هذا البحث إشارة لدراسات علمية حديثة، ووقائع تجريبية موثّقة، حول النحل المعجزة الذي ذكره الله تعالىٰ في كتابه العزيز.

٣– وقد تنوعت مصادر هذا البحث، متشرفة بكتب أسلافنا الكرام في التفسير، واللغة، وكتب المعاني، ناهلة من الكتب المعاصرة فيما يتعلق بالنحل والعسل، مشفوعة بالموسوعات العلمية في ذلك.ولم تقتصر المراجع علىٰ المراجع العربية فحسب، وإنما شملت بعض الكتب المترجمة إلىٰ العربية من اللغات الأخرىٰ كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية.تحقيقًا لقوله تعالىٰ في ختام آيتي النحل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، جعلنا الله جميعا من المتفكرين.

٤ – وفي الختام أوصي إخواني وأخواتي الباحثين والباحثات أن ينهلوا من القرآن الكريم مواد خصبة لبحوثهم، وأن يُعملوا أذهانهم في الوقوف علىٰ لطائف الكتاب

العزيز، وأن ينيروا للناس دلالات القرآن الكريم، وهدايته.

٥- وأن يربطوا بين ذلك كله وبين العلم التجريبي الحديث؛ طلبًا للفائدة من مظانها، وتأكيدًا لإعجاز القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢].

٦- كما أوصي بخوض غمار المعامل والمختبرات، والاكتشافات الحديثة، محاولين درسها في ضوء كتاب الله تعالىٰ، مع الانتباه لما يمكن أن يكون من مزلق خطير من جهة التكلّف في تطويع تلك الاكتشافات للآيات القرآنية الكريمة، من خلال ليّ عنق الآيات لتساير العصر، مع أن الواقع خلاف ذلك من حيث كون القرآن الكريم هو المهيمن.

والحمد لله رب العالمين الذي سخّر لنا الطيبات، ويسر مسالكها، وذللها لنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد الذي كان " يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ » [1]، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الحلواء والعسل، حديث ٥٤٣١، ٧/ ٧٧، و صحيح مسلم، كتاب الأطعمة، باب وجوب الكفارة علىٰ من حرم امرأته، ولم ينو الطلاق، حديث ٢١، ٢/ ١١٠١، وسنن ابن ماجه، أبواب الأطعمة، باب القثاء والرطب يجمعان، ٣٣٢٣، ٢/ ١١٠٤

المصادر والمراجع

١-الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، تحقيق د.باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١.

٢-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣-الآداب للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط.

٧-إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، تحقيق الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ.

٨-الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة.
٩-باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوري الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (المتوفى: بعد ٥٥٣هـ)، تحقيق سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة حرسها الله تعالى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
١٠- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
١١- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ.
١٢- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٣- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
١٤- تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق د.مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
١٥- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
١٦- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧- التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، دار الوضاح، الأردن – عمان.

١٨- تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها أبو بكر محمد البلدي، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ.

١٩- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة د.محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٢٠- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق أبو عبد الله حسين ابن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٢١- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - ١٤١٩ هـ.

٢٢- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - ١٤١٩هـ.

٢٣- تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ)، تحقيق ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

٢٤- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٥- تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د.محمود محمد عبده - دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ.

٢٦- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولىٰ - ١٤٢٣هـ.

٢٧- تفسير يحيىٰ بن سلام، يحيىٰ بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٨- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور،تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.

٢٩- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٣٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم

وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٣٢- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٣٣- حاشية ابن التمجيد علىٰ تفسير البيضاوي، مصطفىٰ بن إبراهيم، مصلح الدين ابن التمجيد، د.ط، د.ت.

٣٤- حاشية السندي علىٰ سنن النسائي (مطبوع السنن)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٣٥- حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

٣٦- حاشية القونوي علىٰ تفسير البيضاوي، إسماعيل بن محمد بن مصطفىٰ أبو المفدىٰ، عصام الدين القونوي، د.ط، د.ت .

٣٧- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٣٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٣٩- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ.

٤٠- سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، دار الحديث، د.ط، د.ت.

٤١- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٤٢- سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسىٰ، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

٤٣- السنن الكبرىٰ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٤- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي، تحقيق نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض.

٤٥- شرح التصريح علىٰ التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٦- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٧- شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام ١٠٩٣ من الهجرة، محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، نجم الدين، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، ومحمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية، ومحمد محيىٰ الدين عبد الحميد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

٤٨- شرح شعر زهير بن أبي سُلمىٰ، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ – ١٩٨١م.

٤٩- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيىٰ بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ.

٥٠- العسل غذاء وعافية، جان لوي داريغول، ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٦م.

٥١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٢- عمل اليوم والليلة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق د.فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦.

٥٣- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

٥٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله.

٥٥- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ - ١٤١٤ هـ.

٥٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرىٰ – مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٥٦.

٥٧- قوت المغتذي علىٰ جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، إعداد ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، رسالة الدكتوراه - جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٤ هـ.

٥٨- كتاب الأمثال في الحديث النبوي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية - بومباي – الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ - ١٩٨٧م.

٥٩- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٦٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ

٦١- الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي.
٦٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٦٣- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأَجْدَابي، أبو إسحاق الطرابلسي، تحقيق السائح علي حسين، دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة – طرابلس – الجماهيرية الليبية.
٦٤- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة.
٦٥- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت.
٦٦- متن الآجرومية، ابن آجُرُّوم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله، دار الصميعي، الطبعة ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.
٦٧- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلىٰ الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٦٨- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ.
٦٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن

عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ.

٧٠- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧١- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٧٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ،١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٧٣- المستدرك علىٰ الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٧٤- مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.

٧٥- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرىٰ، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر

٧٦- الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٧٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني، تحقيق شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٧٨- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلىٰ ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلىٰ ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٧٩- مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق نبيل هاشم الغمري، دار البشائر (بيروت)، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٨٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٨١- المسند للشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل الشاشي البِنْكَثي، تحقيق د.محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠.
٨٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ.
٨٣- معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق: الدكتورة هدىٰ محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٨٤- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

٨٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م..
٨٦- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٨٧- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٨٨- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولىٰ - ١٤١٢ هـ.
٨٩- ملحة الإعراب، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، دار السلام – القاهرة – مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
٩٠- المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي، تحقيق صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨ – ١٩٨٨.
٩١- المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط.
٩٢- موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق حسين سليم أسد الدّاراني - عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولىٰ، (١٤١١ - ١٤١٢ هـ) = (١٩٩٠ م -١٩٩٢ م).
٩٣- موسوعة النحل حياته – مجتمعه – تربيته، فلاديمير كروكافير، ترجمة م منتجب يونس، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق – سورية، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٩م.

٩٤- موسوعة عسل النحل، آمون ريفيس روت، ترجمة دريد نوايا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٩٥- نحل العسل المعجزة، يورغن تاوتز، الترجمة عن الطبعة الألمانية ناديا شبيب، الترجمة عن الطبعة الانكليزية والمراجعة العلمية بالتنسيق مع المؤلف د.نزار جمال حدَّاد، ثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٩٦- نحل العسل دراسة عن السلوك والإنتاج ورعاية المناحل، دكتور إبراهيم سليمان عيسىٰ، دكتور عبد المنعم سليمان علي الخولي، الدار العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٩٧- نحل العسل وشفاء الأمراض، دكتور أحمد لطفي عبد السلام، المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م.

٩٨- نظرات متجددة في رحاب آيتي النحل، رؤية وإعداد، المهندس / محمد عبد العزيز خليفة داود، استشاري تصميم وبناء نظم معلومات الحاسب الآلي، معهد الدراسات والبحوث الإحصائية – جامعة القاهرة ٢٠١١م، من موقع الكتروني:

https://efs2013.wordpress.com/2011/11/28/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%AA%D8%AC%D8%AF%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B1%D8%AD%D8%A7%D8%A8-%D8%A2%D9%8A%D8%AA%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AD%D9%84 /

٩٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٠٠- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٠١- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني،

تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٠٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

